Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تعالى: ﴿**لهم قلوبٌ لا يفقهونَ بهَا**﴾[1]. وأراد به معاني الإيمان، وقال ﷺ: «**ألا أنبئكم بالفقيه كل الفقيه؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يؤمنهم من مكر الله ولم يؤيسهم من روح الله ولم يدع القرآن رغبة عنه إلى ما سواه**»[2]. قال عليه الصلاة والسلام في ضمام بن ثعلبة الأعرابي الذي وفد عليه، فآمن به وعلم أركان الدين وسلم ذلك تسليماً خالصاً من شائبة نفاق أو رياء: «**فقه الرجل**»، وهو لم يعلم بعد إلا أمهات الدين، أما المسائل التي اصطلح على تسميتها بالفقه في العصر الذي بعدهم فكانت تأتي أحكامها حسب وقائعها، ولم يكن في أصحابه من تجرد لاختراع المسائل والإجابة عليها.

التوحيد

التوحيد كان عندهم عبارة عن أن يرى الموحد الأمور كلها من الله عز وجل رؤية تقطع التفاته عن الأسباب والوسائط فلا يرى الخير والشر إلا منه جل ذكره، وكانوا يكتفون في الاستدلال على ذات الله وصفاته بما ورد في القرآن الشريف لا يعتدونه إلى ما سواه إذ كانوا على الفطرة لم تشب قلوبهم شوائب الشك والارتياب، فكانوا بعيدين عن صناعة الكلام ومعرفة طرق المجادلة والإحاطة بطرق مناقضات الخصوم والقدرة على التشدق فيها بتكثير الأسئلة وإثارة الشبهات، وتأليف الإلزامات: «الأمور التي جعلت بعضهم موضوعاً للتوحيد». كان أصحاب رسول الله ﷺ في شغل شاغل عن ذلك بنصر دين الله والاجتهاد في تعميمه في بقاع الأرض. قال إمامنا المرحوم الشيخ محمد عبده في رسالة التوحيد:

وقد مضى زمن النبي ﷺ وهو المرجع في الخيرة والسراج في ظلمات الشبهة، وقضى الخليفتان بعده ما قدر لهما من العمر في مدافعة الأعداء، وجمع كلمة الأولياء، ولم يكن للناس من الفراغ مايخلون فيه مع عقولهم ليبتلوها بالبحث في مباني عقائدهم، وما كان من اختلاف قليل رد إليها، وقضى الأمر فيه بحكمهما

---

(١) سورة آل عمران آية ١٧٩.

(٢) وجدناه في الدارمي بلفظ: «عن علي بن أبي طالب قال: إن الفقيه حق الفقيه من لم يقنط الناس من رحمة الله، ولم يرخص لهم في معاصي الله، ولم يؤمنهم من عذاب الله، ولم يدع القرآن رغبة عنه إلى غيره أنه لا خير في عبادة لا علم فيها، ولا علم لا فهم فيه، ولا قراءة لا تدبر فيها» (سنن الدارمي ١/ ٨٩).